Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نفسى إلى الفرجة فى البلاد وإلى ركوب البحر وعشرة التجار ، وسماع الأخبار ، فهممت فى ذلك الأمر وقد حزمت أحمالاً بحرية من الأشعة الفاخرة وحملتها من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة ، فرأيت مركباً محضراً للسفر وفيه جماعة من التجار العظام ، فنزلت معهم واستأنست بهم »(١١) .

ويحدد السندباد البحرى مدة هذه الرحلة البحرية بسبع وعشرين سنة ، ويعلن فى نهايتها توبة خالصة عن السفر بالبحر ، ويعد هذه السفرة « غاية السفرات وقاطعة الشهوات » . ذلك أنه جسد خلالها أهوال البحر ، ووصف أضخم حيواناته من الحيتان ، فسبق بقرون كثيرة الروائى الأمريكى هرمان ملفل فى روايته البحرية الكبرى « موبى ديك » عن الحيتان ، ولا شك أن ملفل قرأ رحلات السندباد وتأثر بها بالإضافة إلى خبراته الشخصية كبحار وصياد للحيتان ، وهو ما سنأتى على ذكره فى آخر فصول هذا الكتاب ، عن أدب البحر فى الغرب .

وفى هذه الرحلة السابعة يقول السندباد البحرى لأول مرة بأنه وصل إلى الصين ، فى رحلة « طابت لنا الريح » ، وتحقق فيها الكثير من البيع والربح . غير أن ريحًا عاتية هبت على السفينة وأمطرتها بسيول من مياه الأمطار . ويصف السندباد كل ذلك وصفاً دقيقاً قائلا : « وإذا بريح عاصف هبت من مقدم المركب ، ونزل علينا مطر شديد حتى ابتللنا وابتلت حمولنا ، فغطينا الحمولة باللباد والخيش خوفاً على البضاعة من التلف بالمطر ، وصرنا ندعو الله تعالى ونتضرع إليه فى كشف ما نزل بنا مما نحن فيه . فعند ذلك قام رئيس المركب وشد حزامه وتشمر وطلع الصارى ثم إنه التفت يميناً وشمالا وبعد ذلك نظر إلى أهل المركب ولطم على وجهه ونتف لحيته ، فقلنا : يا رئيس ما الخبر ؟ فقال لنا : اطلبوا من الله تعالى النجاة مما وقعنا فيه ، وابكوا على أنفسكم وودعوا بعضكم ، واعلموا أن الريح قد غلبت علينا ورمتنا فى آخر الدنيا »(١٢) .

وأنبأهم رئيس المركب بوجود حيتان ضخمة يمكن أن تبتلع المركب بما فيه . ويصور السندباد ظهور ثلاثة من الحيتان الضخمة ، وما أحدثته من صوت راعد قاصف عند ظهورها على سطح الماء ، وكيف ملأهم الرعب والفزع من خلقة الحوت الهائلة ، وكيف تحركت الحيتان وحطمت السفينة ، وصور كفاحه للأمواج وإعلانه للتوبة عن السفر بالبحر فى قطعة

(١١) المصدر السابق ، ص ٨٥٤ .

(١٢) المصدر السابق ، ص ٨٥٤ .